

الاستيلاء على الطائف

مناوشات مع المضايقي .. ثم أسره :

سعود يعرض افتداء المضايقي .. والصلح :

لما بلغ المضايقي ، أمير الطائف ، دخول المصريين مكة وانضمام الشريف غالب اليهم ، وانضواء كثير من عربان حرب وغيرهم تحت لوائهم ، عرف أن مقامه في الطائف أصبح محفوفاً بالمخاطر ، فغادرها (منهزماً بعياله ونسائه وبعض خيله وما خف من أمواله ومتاعه ، ولحق بعبد الله .

وكان خروجه من الطائف في ٢٣ محرم أول سنة ١٢٢٨) .

ويقول مانجان ان طوسون أعد لغزو الطائف ألف فارس وخمسة آلاف من المشاة وستة مدافع ، ولكن انسحاب المضايقي كفى طوسون وأصحابه القتال ، فذهبت فرقة من عسكره ، ومعهم الشريف غالب ، واستولوا على الطائف بسلام . ويقول بر كهارت ان المضايقي لم يستسلم إلى الهدوء والدعة ، بعد خروجه من الطائف ، وكان يرهق حامية الطائف بهجمات متكررة ، ويقطع الطريق إلى مكة ، ويهاجم العساكر المصرية في أماكن وأوقات مختلفة .

ويقول ابن بشر ان المضايقي نزل « رنية » ، بعد خروجه من الطائف ، فانضم اليه جماعة من عدوان وغيرهم من أهل الحجاز ، (وقصد الطائف ، وملك قصرين أو ثلاثة من أعمال الطائف ، ثم نزل قصر « بسل » المعروف . فحين علم الشريف غالب نزوله ، سار اليه بعساكر كثيرة من الترك وغيرهم

فحصره في ذلك القصر ، وحاصر القصور التي حوله ، وأقام على ذلك أياماً .
ثم إن الشريف استولى عليها ، وقتل كثيراً من قوم عثمان المضايفي وأتباعه ،
نحو خمسين رجلاً .

(وهرب عثمان ، فلما وصل قرب « الحزم » ، ظفر به أناس من « العصمة »
من عتيبة فأمسكوه وساروا به إلى غالب ، فأمسكه أسيراً ، وكان إمساكه في
١٠ رمضان .

ثم قتل بعد ذلك .) .

ويعطينا بر كهارت التفاصيل الآتية عن مصرع المضايفي :
(لقد استطاع المضايفي الهرب من بسل ، ومعه ثلاثون فارساً من أتباعه ،
ولكن فرسه عقرت ، فالتجأ إلى خيمة بدوي من عتيبة ، فأخذه هذا إلى
الشريف غالب طمعاً بالجائزة ..

تم أسر المضايفي في أيلول سنة ١٨١٢ م .
وسلم الشريف المضايفي إلى المصريين ، وهؤلاء أرسلوه إلى استانبول ، بحراسة
فرقة يشرف عليها اسماعيل ، أصغر أولاد محمد علي .
وفي استانبول قطعوا رأسه .

وقد ارتكب الشريف غالب خطأ شنيعاً بما فعله مع المضايفي ، ومهد بذلك
الطريق لمحمد علي ليتخلص من الشريف غالب نفسه ..)
ويقول غوان ان السلطان منح الأمير الفتي اسماعيل رتبة باشا ، لأنه أوصل
إليه المضايفي وبشره بالاستيلاء على الطائف وجلب بذلك السرور .. إلى قلب
السلطان ..

ويذكر الجبرتي في أخبار سنة ١٢٢٨ هـ . ما يؤيد رواية بر كهارت ، قال :
(قبل خروج الباشا محمد علي إلى الحجاز بيومين ، قدمت هجانة مبشرين
بالقبض على عثمان المضايفي بناحية الطائف ، وكان قد جرد على الطائف ، فبرز
إليه الشريف غالب وصحبته العساكر التركية والعربان ، فحاربوه وحاربهم ،

فأصيب جواده فنزل إلى الأرض .. فقبضوا عليه ، ولما أحضروه إلى الشريف
غالب جمل في رقبتة الجنزير .

والمضايقي هذا زوج أخت الشريف ، وخرج عنه وانضم إلى الوهابيين فكان
أعظم أعوانهم وهو الذي كان يحارب لهم ويقاتل ويجمع العربان ويدعوهم عدة
سنين ويواجه السرايا على المخالفين .. وهو الذي كان افتتح الطائف . وهدم قبة
ابن عباس الغريبة الشكل والوصف) .

هل طلب سعود افتداء المضايقي وعرض الصلح :

ذكر ابن دحلان ان الامام سعود ، حين بلغه أسر المضايقي ، بعث إلى طوسون
رسلاً يعرضون عليه مائة ألف ريال فدية له .. والصلح والكف عن القتال ،
فتقابل هؤلاء الرسل أولاً مع الشريف غالب وطوسون باشا ، ثم أرسلوهم لمقابلة
محمد علي باشا في مصر ، فقال لهم :

أما المضايقي فقد توجه إلى باب السلطنة ..

وأما الصلح فلا نمتنع منه ، ولكن بشروط ، منها :

— أن يدفع لنا كل ما صرفناه على العساكر من ابتداء الأمر إلى وقت تاريخه .

— وأن يأتي بكل ما أخذه من الجواهر والأموال التي كانت بالحجرة الشريفة

وكذلك ثمن ما استهلك منها .

— وأن يأتي بنفسه ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك .

وإن أبى ذلك ولم يأت فنحن ذاهبون اليه ..

فقالوا له : اكتب له جواباً .

فقال : لا أكتب جواباً ، لأنه لم يرسل معكم جواباً ولا كتاباً ، وكما أرسلكم

بمجرد الكلام فعودوا له كذلك) .

سكوت ابن بشر ورواية الجبرتي :

لم يشر ابن بشر إلى هذا العرض في تاريخه ، وما كنا لنكثرث لكلام ابن

دحلان لغلبة الغرض عليه ، ولكن الجبرتي ، المعروف بصدقه وسلامة نيته أشار

إلى هذا العرض وربما أخذ ذلك ابن دحلان عنه .

قال الجبرتي ، في أخبار ذي القعدة سنة ١٢٢٨ ، ما يأتي :
(وصلت أخبار بأن سعود الوهابي أرسل قصاداً من طرفه إلى ناحية جدة ،
فقابلوا طوسون باشا والشريف غالب ، وقد خلع عليهم طوسون وأخذهم إلى أبيه
فخاطبهم وسألهم عما جاؤوا فيه ، فقالوا :
الأمير سعود الوهابي يطلب الإفراج عن المضايقي ويفتديه بمائة ألف فرنسه ،
وكذلك يريد إجراء الصلح بينه وبينكم وكف القتال .
فقال لهم : أما المضايقي فإنه سافر إلى الدولة ، وأما الصلح فلا نأباه بشروط) .
ملاحظة :

في رواية الجبرتي ان مقابلة الوفد لمحمد علي تمت في الحجاز ، لأن الجبرتي
يقول ان طوسون (أخذهم) إلى أبيه .. بينما يذكر ابن دحلان أن اللقاء كان
في مصر ..

ونحن نرجح رواية الجبرتي ، وقد أيدتها دائرة المعارف الإسلامية .
وقد وجدنا رسالة كتبها طوسون إلى أبيه سنة ١٢٢٧ هـ . يقول فيها ان
الشريف غالب أبلغه ان الوهابيين يعرضون الصلح واخلاء جميع الطرق الموصلة
إلى مكة تيسيراً للحج ..
وربما كان هذا العرض هو العرض الذي نقل الى محمد علي ، فوصلت أخباره
الى القاهرة ...
ولا نستغرب ، بعد هذا ، أن تكون وساطة الشريف غالب لعقد الصلح ،
من الأسباب التي دعت محمد علي إلى عزله عن الشرافة ، خوفاً من قيامه بدور
جديد مريب ..